المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقييم حالة

تطورات المشهد الميداني في سورية بعد ضربة الشعيرات ودلالاته

وحدة تحليل السياسات | يوليو 2017

تطورات المشهد الميداني في سورية بعد ضربة الشعيرات ودلالاته السياسية

سلسلة: تقييم حالة

وحدة تحليل السياسات | يوليو 2017

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2017

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات مؤسّسة بحثيّة عربيّة للعلوم الاجتماعيّة والعلوم الاجتماعيّة التطبيقيّة والتّاريخ الإقليميّ والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاثٍ فهو يولي اهتمامًا لدراسة السّياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربيّة أو سياسات دوليّة تجاه المنطقة العربيّة، وسواء كانت سياسات حكوميّة، أو سياسات مؤسّسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربيّة بأدوات العلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتاريخيّة، وبمقاربات ومنهجيّات تكامليّة عابرة للتّخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانيّة تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامجَ وخططٍ من خلال عمله البحثيّ ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السّياسات
شارع الطرفة، منطقة 70
وادي البنات
ص. ب: 10277
الظعاين، قطر
هاتف: 44199777 974+
www.dohainstitute.org

المحتويات

تمهيد	1
أولًا: ضربة أميركية لم تغير المشهد	1
ثانيًا: جبهات الحرب ضد تنظيم الدولة "داعش"	2
ثالثًا: جبهات القتال بين النظام والمعارضة	10
رابعًا: دلالات المشهد الميداني السياسية	14
خاتمة	17

تمهيد

تصدّر المسارُ الميدانيُّ والعسكريُّ المشهدَ السوريَّ العام في ظل استمرار استعصاء المسار السياسي في جنيف؛ فمنذ الضربة العسكرية الأميركية لمطار الشعيرات في نيسان/أبريل الماضي حتى إعلان اتفاق الهدنة في الجنوب السوري الذي وقعته مؤخرًا واشنطن وموسكو على هامش القمة العشرين في هامبورغ في ألمانيا، والأحداث العسكرية تتسارع وعلى مستويات الصراع كافّة، وفي معظم مناطق سورية: في درعا وريف دمشق والقلمون والبادية والرقة وريفها الجنوبي، ولتتغير معها نسب السيطرة والنفوذ والتموضع السياسي لجميع الأطراف المنخرطة في الصراع. تستعرض هذه الورقة أهم تلك التغيرات وتداعياتها؛ لتقف في خاتمتها على جملة من النتائج التي تساعد على قراءة النتائج السياسية المتوقعة لهذه التطورات، وثوابت هذا المشهد ومتغيراته التي لا تزال في قيد التشكّل.

أولًا: ضربة أميركية لم تغير المشهد

في 4 نيسان/ أبريل 2017 استخدمت طائرات النظام سلاحًا كيماويًا؛ مزيجًا من الكلور والسارين في منطقة "خان شيخون"، ما أحدث مجزرة راح ضحيتها ما يزيد على 75 شخصًا. وعلى أثر ذلك قررت إدارة الرئيس ترامب توجيه ضربة عقابية للنظام باستهدافها "قاعدة الشعيرات الجوية" – التي انطلقت منها مقاتلات النظام التي نفذت ضربة الكيماوي – بـ 59 صاروخ "توماهوك"، ما تسبب في أضرار كبيرة لـ 10 إلى 13 طائرة "ميغ 23".

ونظرًا إلى إدراك موسكو مدلولات التوجهات الأميركية الجديدة، ولاحتمالية عرقلة المسارات السياسية والعسكرية التي جهدت لإنشائها في سورية؛ سارعت إلى التعامل مع هذا "التحول" بمزيد من "الصلابة السياسية"، فاعترضت على الفور مع إيران على الاستهداف الأميركي لمطار الشعيرات. وكانت أول ردة فعل رسمية روسية ضد الولايات المتحدة هي وقف التنسيق مع الولايات المتحدة فيما يتعلق بغارات التحالف بقيادة الولايات المتحدة على

مواقع "داعش"، بينما أعلن النظام السوري بأن رده سيكون على الأرض، وسوف يصعّد من غاراته على مواقع من وصفهم بالـ "إرهابيين" في إدلب.

لم يتغير الوضع في سورية بعد استهداف أميركا لمطار "الشعيرات" فيما يتعلق بأعداد الغارات الجوية وأهدافها، بل عمل على تكثيف طلعات النظام والروس الجوية على أغلب مواقع المعارضة، وكان الاستهداف الأكبر قد شمل أرياف حماه، وحلب، وحمص، ودرعا. ففي الفترة الزمنية 7–11 نيسان/ أبريل 2017، نفذ طيران النظام السوري 178 غارة جوية (في 8 نيسان/ أبريل 10 غارات جوية بطائرات "ميغ 23" أقلعت من قاعدة الشعيرات الجوية، أي بعد يوم واحد من الاستهداف الأميركي للقاعدة)، بينما نفذ الطيران الروسي 212 غارة جوية.

استمر الروس وحلفاؤهم بعد الضربة العسكرية الأميركية في محاولة إلغاء أية آثار محتملة لهذه الضربة. وفي المقابل، يمكن لحظُ زيادة وتيرة دعم الولايات المتحدة الأميركية للفصائل التي تدعمها في حربهم ضد تنظيم داعش. وبمعنى آخر يمكن القول إنه على المستوى الإستراتيجي العسكري لم تشهد الخارطة العسكرية تغييرًا مهمًا في التعاطي الأميركي، وخاصة أن تبعات تلك الضربة لم تتجاوز الأبعاد الإعلامية.

ثانيًا: جبهات الحرب ضد تنظيم الدولة "داعش"

اتسمت هذه الفترة بكثافة التركيز والاستهداف الذي تعرض له تنظيم داعش في سورية؛ إذ يبين الجدول (1) القوى المشاركة في جبهات القتال ضد التنظيم في المناطق التي يوجد فيها، وبينما كانت الفاعلية الأكبر في هذه الجبهات للتحالف الدولي، وذلك في خضم معركة "تحرير الرقة" (انظر الجدول 2)، فإن المعارضة بعد نجاحها في طرد داعش من القلمون الشرقي والبادية السورية لم تحافظ على هذه المكاسب، إذ استطاعت الميليشيات المدعومة إيرانيًا حصارها، كما أن النظام، على الرغم من تركيز قصفه على مناطق المعارضة في مواقع ريف حماه الشمالي والأحياء الجنوبية من مدينة درعا، ظلّ عن طريق حلفائه يحاول التقدم في محور البادية، على الرغم من تعرضه للقصف الأميركي ثلاث مرات، وفي محور أثريا–خناصر في ريف الرقة الجنوبي، وذلك لضمان مشاركته في المعارك ضد تنظيم الدولة.

الجدول (1)

القوى المحاربة لتنظيم داعش

القوى	تركيبتها
المعارضة	جيش حر + قوات إسلامية
النظام وحلفائه	الجيش السوري+ ميليشيات محلية +ميلشيات شيعية+ ميلشيا حزب الله اللبناني
القوات الكردية	وحدات الحماية الكردية+ قوات عشائر

الجدول (2)

الحرب الجوية على تنظيم داعش

الغارات الجوية	دير الزور	ريف حلب الشرقي	معبر التنف	البادية	ريف الحسكة الجنوبي	الرقة (شمال النهر)	محافظة الرقة (جنوب النهر)
روسيا والنظام	13	33	–	19	0	–	23
التحالف	190	–	8	–	36	670	8

العدد الكلي للغارات	233	33	8	19	36	670	31
% روسيا – النظام	%18	%100	–	%100	–	–	%75
% التحالف الدولي	%82	–	%100	–	%100	%100	%25

1– جبهة الطبقة في محافظة الرقة

تستند قوات التحالف الدولي في حربها ضد تنظيم الدولة في هذه الجبهة على قوات سورية الديمقراطية التي تشكل وحدات حماية الشعب الكردية عصبَها الرئيس، وقد كثف التحالف غاراته الجوية على مدينة الطبقة وأريافها منذ منتصف شهر آذار/ مارس 2017، واتسم هذا الاستهداف بأنه شبه عشوائي في معظمه؛ إذ سجل خلال الفترة 18–22 آذار/ مارس مقتل نحو 300 مدني، وازدادت ازديادًا ملحوظًا عمليات القصف في الأسبوع الأخير من الشهر المذكور، مستهدفةً محيط سد الفرات الذي خرج عن العمل من جراء ذلك. وعلى الرغم من هذه الكثافة فقد عجزت قوات وحدات الحماية الكردية عن التقدم البري في منطقة السد، بسبب شدة تحصينات داعش، وهو أمر دفع واشنطن في 25 آذار/ مارس إلى القيام بإسقاط مظلي لقوات أميركية في الجهة الغربية من ريف الطبقة، ودعم قوات وحدات الحماية هناك بمساعدة وحدات من الجيش الفرنسي المتمركزة في منطقة "كلجعبر شرقي"، حيث بدأت تلك القوات هجومًا على المطار العسكري من المحاور الجنوبية، من دون الهجوم على المدينة.

وبعد تأمين مدينة الطبقة وسد الفرات بدأ طيران التحالف بتكثيف غاراته على ريف مدينة الطبقة الغربي ومدينة الرقة، إلى أن تمكنت وحدات الحماية من محاصرة مدينة الرقة وتأمين جميع المناطق في الريف الغربي من الطبقة.

الخريطة (1)

النفوذ العسكري في الرقة حتى 9 تموز/ يوليو 2017

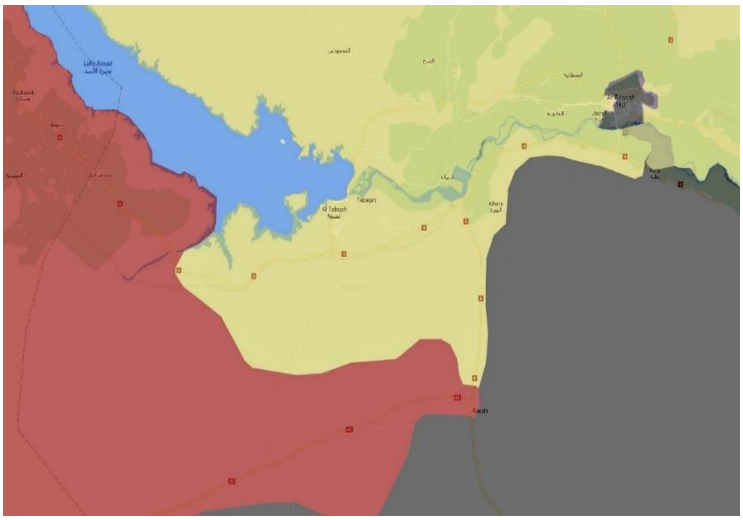

ويبين الجدولان (3) و(4) أنه خلال شهر آذار/ مارس حوصرت الطبقة، وفي نهاية شهر حزيران/ يونيو حوصرت الرقة، وتقدر مساحة سيطرة قوات حماية الشعب الكردية التي تدعمها قوات دولية وطيران التحالف الدولي بقرابة 750 كم^2، ويُعَدُّ ذلك إتمامًا للمرحلة الأولى من معركة الرقة والتي تتمثل بحصار مدينة الرقة ودفع تنظيم الدولة إلى الانسحاب باتجاه دير الزور.

الجدول (3)

محاور الهجوم على تنظيم الدولة في الطبقة في آذار/ مارس 2017

محاور الهجوم	القوى البرية	قوى دولية جوية	قوى دولية برية	مساحة السيطرة
سد الفرات	وحدات الحماية	طيران التحالف	مارينز أميركي+ قوات فرنسية	395 كم²

ريف الطبقة الغربي	وحدات الحماية قبيلة العجيل	طيران التحالف	مارينز أميركي + قوات فرنسية	
مطار الطبقة	وحدات الحماية	طيران التحالف	مارينز أميركي	
مدينة الطبقة	وحدات الحماية قبيلة العجيل	طيران التحالف	مارينز أميركي	

الجدول (4)

محاور الهجوم على تنظيم الدولة في الرقة في آذار/ مارس 2017

محاور الهجوم	القوى البرية	قوى دولية جوية	قوى دولية برية	وضع الجبة الحالي	المساحة
مدينة الرقة	وحدات الحماية	طيران التحالف	مارينز أميركي	اشتباكات كثيفة	360 كم²
ريف الطبقة الغربي	وحدات الحماية + قبيلة العجيل	طيران التحالف	مارينز أميركي	تمت السيطرة على المنطقة	

2- جبهة ريف حلب الشرقي والجنوبي وريف الرقة الجنوبي

كان واضحًا منذ خسارة المعارضة لمعركة حلب الشرقية أن التوجه الجديد للروس وحلفائهم هو البدء في الانتقال الفعلي إلى مستوى محاربة تنظيم الدولة عبر خطط الانتشار، وإعادة التموضع، والبدء في اختراق تفاهمات ما عرف بغرب النهر (مناطق نفوذ روسيا) وشرق النهر (مناطق نفوذ أميركا). إذ بدأت قوات النظام المدعومة بالقوات الجوية الروسية والميليشيات الإيرانية في قتال التنظيم في ريف حلب الشرقي عبر محاور ثلاثة (الخفسة – دير حافر – مطار الجراح)، وبعد سيطرته على قرابة 1000 كم^2 من الأرض انتقل النظام إلى ريف الرقة الجنوبي وريف حلب الجنوبي، محققًا في نهاية شهر حزيران/ يونيو 2017 السيطرة على مساحة 3470 كم^2، وتكون هذه المناطق قد انتهت من وجود تنظيم داعش.

الجدول (5)

محاور هجوم النظام على تنظيم الدولة في ريف حلب الشرقي في آذار/ مارس 2017

محاور الهجوم	القوى البرية	قوى دولية جوية	وضع الجبهة الحالي	مساحة السيطرة
الخفسة	قوات النظام ميليشيات إيرانية	طيران روسي	تحت سيطرة النظام وحلفاءه	1030 كم^2
دير حافر	قوات النظام ميليشيات ايرانية	طيران روسي	تحت سيطرة النظام وحلفاءه	
مطار الجراح	قوات النظام ميليشيات ايرانية	طيران روسي	تحت سيطرة النظام وحلفاءه	

الجدول (6)

محاور هجوم النظام على تنظيم الدولة في ريف حلب الجنوبي والشرقي في حزيران/ يونيو عام 2017

محاور الهجوم	القوى البرية الأساسية	قوى دولية جوية	وضع الجبهة الحالي	مساحة السيطرة
ريف حلب الجنوبي	قوات النظام ميليشيات ايرانية	طيران روسي	تحت سيطرة النظام وحلفاءه	3470 كم²
ريف الرقة الجنوبي الغربي	قوات النظام ميليشيات ايرانية	طيران روسي	اشتباكات متقطعة – انسحاب لمقاتلي داعش	1700كم²

3- جبهة البادية والقلمون الغربي

أعلنت قوات المعارضة في البادية السورية والقلمون الشرقي (مغاوير الثورة، أحمد العبدو، أسود الشرقية، جيش أحرار العشائر، لواء شهداء القريتين، جيش الإسلام/ قطاع البادية) عن بدء المرحلة الأولى من معركة "رد الاعتبار"، والتي أطلق عليها لاحقًا اسم معركة "سرجنا الجياد لتطهير الحماد" في كانون الأول/ ديسمبر 2016 ضد مواقع داعش.

وفي آذار/ مارس أعلن المكتب الإعلامي لقوات الشهيد "أحمد العبدو" عن انطلاق المرحلة الأولى من معركة "طرد البغاة"، بهدف استعادة السيطرة على مواقع التنظيم في القلمون الشرقي، وذلك بشن هجوم على عدة محاور. وفي أواخر الشهر ذاته بدأت المرحلة الثانية من معركة "سرجنا الجياد لتطهير الحماد"، والمرحلة الثانية من معركة "طرد البغاة"، وذلك استكمالًا لأهداف المرحلة الأولى من المعركتين، بهدف وصل البادية الشامية بالقلمون.

الجدول (7)

الوضع الميداني في البادية السورية والقلمون

محاور الهجوم	القوى البرية الأساسية	وضع الجبهة الحالي	مساحة السيطرة
القلمون الغربي	جيش حر + معارضة إسلامية	تحت سيطرة المعارضة	1220 كم²
صحراء دمشق	جيش حر + معارضة إسلامية	تحت سيطرة المعارضة	13127 كم²
صحرا السويداء	جيش حر + معارضة إسلامية	تحت سيطرة المعارضة	2336 كم²

إلا أنه بعد إتمام المعارضة لمهمّاتها المتمثلة بطرد داعش من تلك المنطقة ووصل البادية بالقلمون، استطاعت قوات النظام في الأسبوع الثاني من شهر أيار/ مايو 2017 من التقدم في منطقة السبع بيار على طريق دمشق–بغداد القديم، مؤمّنةً بذلك مطار السين العسكري ومحيطه، ومسيطرةً على عدة طرق جعلت قوات المعارضة في القلمون الشرقي محاصَرةً حصارًا كاملًا.

واستكمالًا لهذا الحصار، تمهد قوات النظام لإقامة تسوية في المنطقة تفضي إلى طرد مقاتلي المعارضة منها. كما بدأت قوات النظام المحاولة في التقدم من المحور السابق عينِه، إضافة إلى محور من جهة مطار خلخلة في السويداء، حيث تقوم قوات النظام بحشد قواتها من أجل التقدم في البادية السورية، وصولًا إلى منطقة التنف من أجل إفشال مشروع المعارضة في الوصول إلى دير الزور، وهو المشروع الذي تدعمه الولايات المتحدة والأردن وبريطانيا، إضافة إلى السيطرة على معبر التنف الحدودي مع العراق. هذا، وتعتمد إيران على الميليشيات اعتمادًا رئيسًا في البادية السورية (انظر الجدول رقم 8).

الجدول (8)

الميليشيات المساندة للنظام في معارك البادية

التشكيل	التصنيف	الدعم	التشكيل	التصنيف	الدعم
كتائب الإمام علي	عراقية	إيران	**القوة 313**	المقاومة الإسلامية	إيران
كتائب سيد الشهداء	عراقية	إيران	**جيش التحرير الفلسطيني**	فلسطينية	النظام
حركة الأبدال	عراقية	إيران	**لبيك يا سلمان**	درزية	إيران
حزب الله النجباء	عراقية	إيران	**لواء الفاطميون**	أفغانية	إيران
سرايا التوحيد	لبنانية	إيران	**لواء الزينبيين**	باكستانية	إيران
حزب الله اللبناني	لبنانية	إيران	**قوات النمر (دمشق)**	الجيش السوري	النظام

ثالثًا: جبهات القتال بين النظام والمعارضة

لم تترك الضربة الأميركية على مطار الشعيرات أثرًا يذكر على جبهات القتال بين النظام وفصائل المعارضة، و في ما يلي أهم التطورات على هذه الجبهات:

1- جبهة ريف حماه الشمالي

بعد معارك محيط دمشق ومعركة المنشية في درعا، حصل تصعيد كبير في محافظة حماه؛ إذ استطاعت قوات المعارضة السورية وفصائل إسلامية من تحقيق تقدم كبير في ريف حماه الشمالي، حيث تمت السيطرة على 240 كم² في ثلاثة أيام؛ شملت 23 موقعًا كانت تتمركز فيها قوات النظام وميليشيات موالية. واستمرت القوات المهاجمة بالتقدم حتى منطقة "تلة الشيحة"، وبات يفصلها عن مطار حماه نحو 5.2 كم. بدأ الهجوم الأول في

21 آذار/ مارس 2017، واستهدف بلدة صوران، ومن ثم تتابعت الأعمال حتى وصلت إلى ثلاث معارك بتسميات مختلفة على عدة جبهات، يوضحها الجدول (9).

الجدول (9)

معارك قوات المعارضة السورية في ريف حماه الشمالي خلال آذار/ مارس 2017

اسم المعركة	تاريخ بدء المعركة	الجبهة المستهدفة	الفصائل المشاركة	المساحة التي تمت السيطرة عليها	وضع المعركة الحالي
وقل اعملوا	21 أذار	الجبهة الشرقية والشمالية	تحرير الشام + تجمع أبناء الشرقية	190 كم²	متوقف
في سبيل الله نمضي	22 أذار	الجبهة الشمالية	جيش العزة + أبناء الشام	34 كم²	متوقف
صدى الشام	24 أذار	الجبهة الغربية	أحرار الشام + جيش النصر	16 كم²	متوقف

لم يدم هذا التقدم طويلًا، إذ شنّت قوات النظام والميليشيات الموالية هجومًا معاكسًا، استطاعت من خلاله استرداد 21 موقعًا في مدة زمنية لم تتجاوز ثلاثة أيام، وأدّى الطيران الروسي دورًا أساسيًا في مساعدة قوات النظام البرية في استعادة المناطق التي خسرتها. توضح الخريطة رقم (2) مواقع السيطرة في ريف حماه الشمالي، مع الإشارة إلى المواقع التي سيطرت عليها قوات المعارضة وقوات إسلامية أخرى في هجومها في آذار/ مارس 2017، والتي خسرتها لمصلحة قوات النظام والميليشيات الموالية في نيسان/ أبريل 2017.

الخريطة (2)

مواقع السيطرة في ريف حماة الشمالي

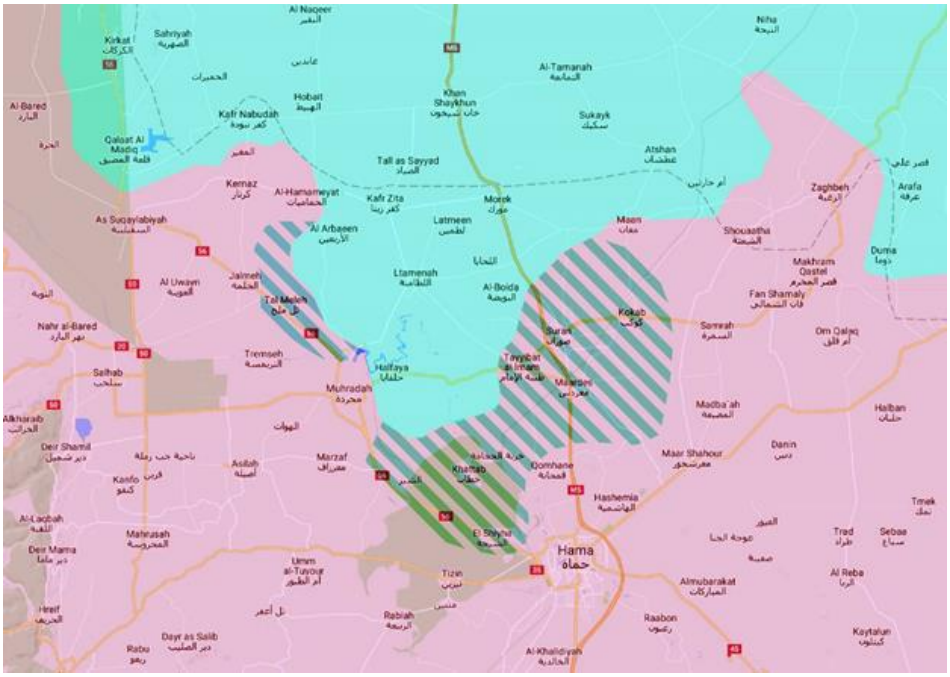

2- جبهة مدينة درعا

أطلقت فصائل معارِضة تنتمي إلى الجبهة الجنوبية، معركة "الموت ولا المذلة" في 12 شباط/ فبراير 2017 في درعا البلد، حيث جاءت المعركة على خلفية حشد النظام السوري قواته للوصول إلى معبر نصيب الحدودي مع الأردن، انطلاقًا من حي المنشية بدرعا البلد، والذي كانت قوات النظام تسيطر على معظمه، إذ استطاعت فصائل المعارضة، بعد أكثر من شهرين ونصف الشهر من القتال، السيطرةَ على ما يقرب من 90 % من الحي.

3- جبهة الغوطة الشرقية

نتيجة الاقتتال الداخلي بين فصائل المعارضة (جيش الإسلام من جهة، وفيلق الرحمن وهيئة تحرير الشام من جهة ثانية) داخل الغوطة الشرقية المحاصرة أساسًا على يد قوات النظام ومن الجهات كافّة، استغلت قوات

النظام ذلك الاقتتال، وفتحت جبهة قتال جديدة ضد فصائل المعارضة من جهة بلدة "بيت نايم" وجوبر جنوب الغوطة الشرقية، على الرغم من أن الغوطة الشرقية من ضمن المناطق الأربع الآمنة المحددة باتفاق أستانا 4، ويعمل النظام على عمليات القضم البطيء لمناطق الغوطة الشرقية وبلداتها.

4- جبهة أحياء دمشق الشرقية

استطاع النظام السوري بدعم روسيا وإيران تحييد أحياء دمشق الشرقية (برزة – تشرين – القابون) من اتفاق المناطق الآمنة، واستطاع فرض تسوية على حيَّيْ برزة وتشرين، والسيطرة الكاملة على حي القابون في الأسبوع الثاني من شهر أيار/ مايو 2017، والبدء بإخراج مقاتليها وسكانها إلى إدلب وجرابلس، بعد معارك عنيفة استمرت أكثر من شهرين. ومباشرةً بدأ النظام بترويج رواية أن مقاتلي هيئة تحرير الشام الذين كانوا في أحياء دمشق الشرقية (برزة – تشرين) انسحبوا نحو الغوطة الشرقية وانضموا إلى فيلق الرحمن، وهذا ما سيعطي مبررًا لاحقًا لهجوم قوات النظام على الغوطة الشرقية بحجة وجود هيئة تحرير الشام فيها.

الجدول (10)

خروقات النظام وروسيا في مواقع خفض التهدئة خلال حزيران/ يونيو

الجبهة	ريفي حلب الغربي الجنوبي	محافظة درعا – المدينة	شمال حماه	إدلب	الغوطة الشرقية	ريف حمص الشمالي
طيران النظام	–	15	–	–	12	3
مدفعية النظام	25	38	7	3	28	7
طيران مروحي	–	51	–	–	5	2
الطيران الروسي	–	2	–	–	–	1

العدد الكلي للخروقات	25	103	7	3	45	13
النظام	%100	%98	%100	%100	%100	%92
روسيا	–	%2	–	–	–	%8

خلال هذه الفترة عاد الاقتتال الداخلي بين الفصائل إلى الظهور، وعادت مرة أخرى وبزخم أكبر الاشتباكات البينية بين الفصائل في الغوطة الشرقية، فاندلعت مواجهات عنيفة بين عناصر "جيش الإسلام" من جانب، و"فيلق الرحمن" و"هيئة تحرير الشام" من جانب آخر، ولا سيما في بلدات مديرا وبيت سوى وعربين وكفربطنا وحزة وزملكا، وسط تبادل للاتهامات وأنباء عن سقوط عشرات القتلى والجرحى بينهم مدنيون، وبدأ الاقتتال الجديد بهجوم شنّه "جيش الإسلام" على مقرات "هيئة تحرير الشام" و"فيلق الرحمن" في مناطق عربين وكفر بطنا والأشعري ومديرا وحزة، وتتعدد التبريرات وراء هذا الاقتتال كالقضاء على جبهة النصرة، وفتح طرق الإمداد للجبهات التي يوجد فيها جيش الإسلام، أو رغبة جيش الإسلام في الاستحواذ والسيطرة على المنطقة برمتها، وخاصة مع تبلور مفهوم المناطق الآمنة في سورية. وبغض النظر عن تلك التبريرات يبقى الثابت هو تأكّل القوى العسكرية المحلية، في ظل استمرار حصار النظام المطبق على المنطقة. وهو أمر يعزز من تسارع قضم النظام وحلفائه لتلك المنطقة أو إخضاعهم لشروط تسوية مشابهة لداريا والمعضمية والوعر ... إلخ.

رابعًا: دلالات المشهد الميداني السياسية

تبين الخريطة (3) مقدار السيطرة والنفوذ حتى 10 تموز/ يوليو 2017، إذ لا يزال تنظيم الدولة (اللون الرمادي) يستحوذ على أعلى نسبة (31%)، إلا أن طبيعة المناطق التي خسرها تتسم بالحيوية والإستراتيجية (10% خسارة بين نيسان/ أبريل وحزيران/ يونيو)، وزادت نسبة سيطرة قوات سورية الديمقراطية المدعومة بقوات التحالف الدولي (اللون الأصفر) خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من 13% لتصبح 22%.

لقد تعاظمت خسارة تنظيم الدولة لعناصر المرونة والانسياب التي كانت تمنحه إياها طبيعة المناطق التي يسيطر عليها، لاسيما أن مناطق نفوذه متوزعة بين سورية والعراق، وكانت تمنحه أيضًا القدرة على تحسين

خياراته ومحاور عملياته، وذلك من خلال سيطرته على البادية السورية التي تطل على ريف حمص الشرقي وريف دمشق والسويداء والحدود الأردنية. وإثر هذه الانسحابات والتراجعات المتسارعة للتنظيم، وارتباط شكل الحل السياسي وطبيعته في سورية بهذه الحرب، تتمحور التطورات المستقبلية حول أربع قضايا:

- مرحلة ما بعد تحرير الرقة، إذ إن تحرير المدينة لا يزال مهمة صعبة، على الرغم من حجم الخسارة التي تعرض لها التنظيم خلال الفترة السابقة، على مستوى السيطرة وعلى مستوى البنية والقوة البشرية والقيادة؛ فهي معارك المرحلة الأخيرة وهي معركة وجود بالنسبة إلى التنظيم. وتستحضر هنا المقارنة بما جرى في معركة الموصل التي أُعلِن عن البدء في تحريرها في تشرين الأول /أكتوبر 2016 واستمرت تسعة أشهر، وحُشِدت لها عشرات الآلاف من القوى العراقية، فضلًا عن التحالف الدولي.
- الإدارة المدنية لمحافظة الرقة، إذ إن المكسب العسكري سيبقى غير مستقر في حال عدم بلورة إدارة محلية في المنطقة قادرة على الحكم المحلي؛ هذه الإدارة التي يرفض المجتمع المحلي في الرقة تسليمها إلى الإدارة الذاتية الكردية، وهذا ما دفع قوات سورية الديمقراطية إلى إعلان نيتها أن لا تدير المحافظة.
- معركة دير الزور: والتي ستتأثر كثيرًا بحسب طبيعة التحالف الذي سيتشكل للهجوم عليها من جبهتها الجنوبية، إذ يتسابق النظام والميليشيات الإيرانية (بغية تأمين خطوط الإمداد من العراق إلى سورية ومنها إلى حزب الله)، بينما لا تزال الولايات المتحدة الأميركية تراهن على قوات مغاوير الثورة الموجودة على الحدود العراقية السورية، وعلى الرغم من قيام الولايات المتحدة الأميركية بتوجيه عدة ضربات للميليشيات الإيرانية أثناء انتشارها وتقدمها باتجاه محاور دير الزور، فإن إيران تبدو مصممة على محاولة السيطرة عليها.
- التنسيق الأمني الأميركي الروسي المحتمل، وانعكاساته على معارك الشرق السوري، حيث ترتبط هذه التفاهمات الأمنية مع الأبعاد المتعددة للصراع في سورية، وهو أمر قد يفرض معطيات تساهم في تعزيز شروط توليد التطرف إذا ما اتكأت قوات التحالف في هذه المهمة على الميليشيات الإيرانية.

الخريطة (3)

مواقع السيطرة حتى 9 تموز/ يوليو 2017

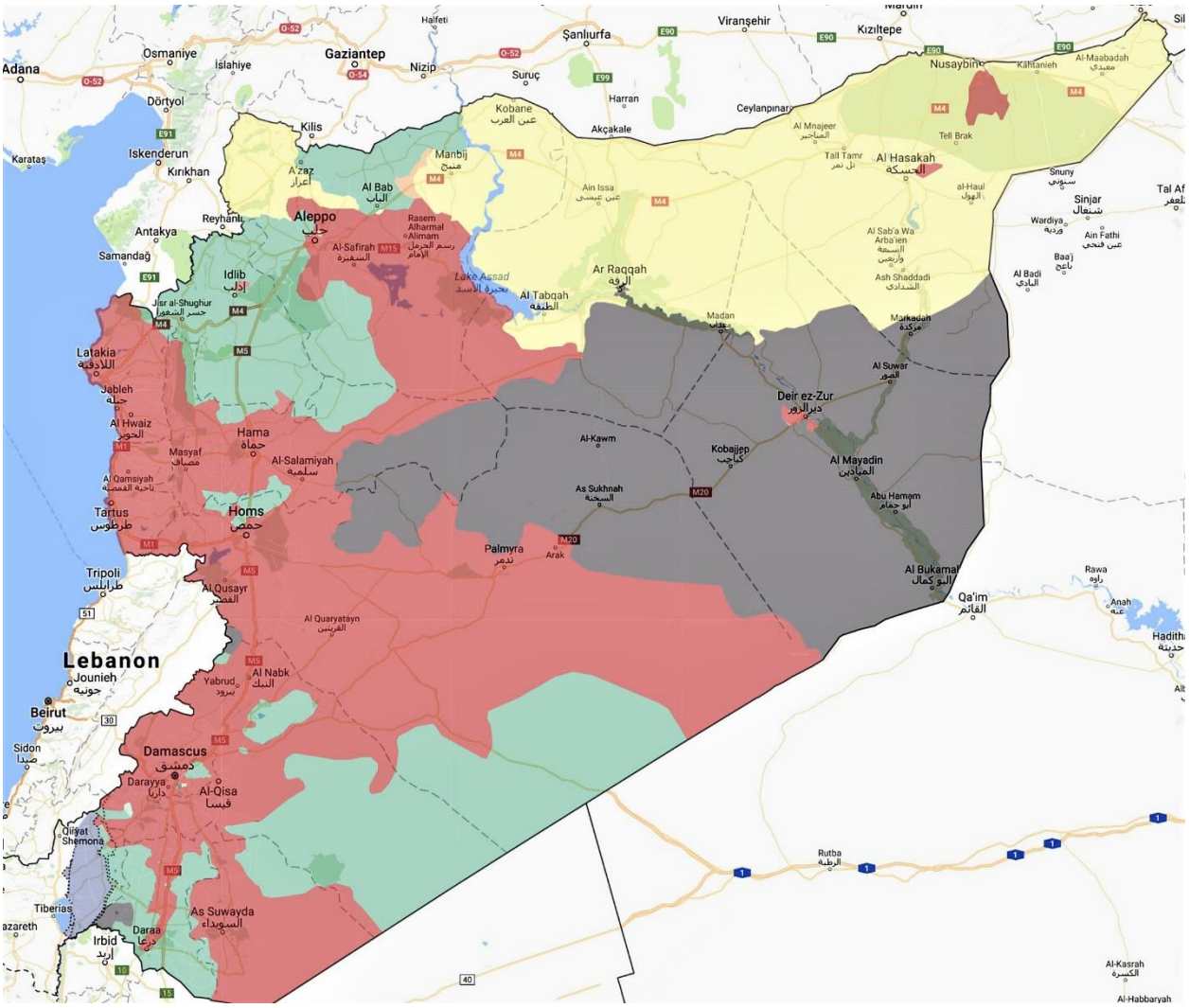

كما تفيد هذه الخريطة ازديادًا ملحوظًا في مقدار سيطرة النظام التي تحصل عيها بنسبة كبيرة، على حساب تنظيم داعش، وبنسبة أقل من قوى المعارضة، إذ ازدادت نسبة سيطرته بنحو 8 % خلال الأشهر الثلاثة الماضية لتصبح 26 %، إلا أن المعارضة حافظت تقريبًا على نسبة نفوذها البالغة 17 %، إذ إنه على الرغم من مكاسب المعارضة المتأتية من معاركها مع تنظيم داعش، كان لخسارتها لبعض المناطق على يد النظام وميليشياته؛ أثرٌ في عدم حصولها على هذه النسبة. ويمكن رد ذلك إلى تطورات أهمها:

- محاولة الروس تثبيت المكتسبات الميدانية للنظام عبر مسار أستانا، ولا سيما عبر اتفاق مناطق خفض التصعيد الأربع.
- زيادة الاهتمام على مناطق الشمال والجنوب، وما أفرز تفاهمًا روسيًا وأميركيًا على وقف إطلاق نار في الجبهة الجنوبية، تلك الجبهة التي تسبب قلقًا لمسار أستانا وما تحمله من قدرة أميركية على تعطيل الحل الروسي.
- عدم اكتراث الأميركيين بمسار جنيف، وهذا ما عزز المناخ لأستانا للاضطلاع بأدوار سياسية تخدم الموقف الروسي.

خاتمة

مثّلت الأشهر الثلاثة المنصرمة تطورًا ملحوظًا على المستوى الميداني والعسكري في سورية؛ فإلى جانب تعاظم خسارات تنظيم داعش وإلحاح الأسئلة حول شكل الحل السياسي في سورية، وصعوبة الخيارات أمام المعارضة، فإنه تتعزز عناصر الإستراتيجية الروسية القائمة على تدعيم مواقع النظام والتفاهم الأمني مع الولايات المتحدة في "الحرب ضد الإرهاب"، والتنسيق مع الأتراك في مناطق الشمال السوري، وذلك لتضييق الخناق على تنظيم هيئة فتح الشام، وتعطيل القدرة المتنامية لتنظيم الـ PYD. إلا أن هناك عوامل عديدة تمثّل تحديًا حقيقيًا لاستقرار أي تفاهم سياسي حول سورية، كالدور المستقبلي للميليشيات الإيرانية وموقعها في التفاهمات الأميركية الروسية، وطبيعة مسار التفاوض السياسي في جنيف ومآلاته، إضافة إلى استمرار التأزم الإقليمي، وهذا ما يجعل السيناريوهات المتوقعة غير ثابتة، وتتضمن مؤشرات متناقضة حول طبيعة المسار الذي ستسلكه الأزمة السورية في الفترة المقبلة.